« الماء .. والحياة »

فيلم تسجيلى فى ثلاثين دقيقة

سيناريو واخراج : عبد القادر التلمسانى
تصوير : حسن التلمسانى
مونتاج : حسن الجنايني
تعليق : صلاح حافظ
موسيقى : سليمان جميل
مهندس الصوت : كمال عبد الله
انتاج سنة ١٩٧٢ [لحساب وزارة الرى] .

الموضوع :

عن المشروعات الكبرى للرى والصرف فى مصر، من الاسكندرية شمالاً حتى بلاد النوبة فى أقصى الجنوب ..

وقد نال هذا الفيلم شهادة تقدير فى مهرجان الأفلام التسجيلية الذى نظمته وزارة الثقافة عام ١٩٧٢ .

التعليق :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾

(صدق الله العظيم) .

● النيل يهب الحياة لمصر .. والنيل يهدأ أحياناً .. ويغضب أحياناً .. ولكن من حسن الحظ أن له عقلاً يحكمه .

obeikandl.com

نحن الآن نشهد عقل النيل وهو يفكر.. فنحن فى مكتب وزير الرى.. ووزارة الرى هى عقل النيل من منبعه إلى مصبه.. لا داعى لأن نسمع ما يقال.. فالجميع هنا مهندسون.. ونحن غالباً لن نفهم اللغة التى يتحدثون بها.

إننا فقط نشهد ثمار أفكارهم بعد أن تتحقق.

خزان أسوان مثلاً.. كان أول حلم حققته فى الماضى وزارة الرى، أيام كان اسمها «وزارة الأشغال العمومية» ومن المصادفات الغريبة أن يتحقق فى أسوان أيضاً أحدث حلم على صفحة النيل.

● السد العالى.. هو السلطان الذى يحكم تدفق النيل.. والذى يسخره لإنتاج الكهرباء.. والذى يحبس وراءه أضخم بحيرة فى مصر.. بحيرة ناصر. إن كل هذا الماء كان يجب استثماره.. وكان لابد من عقل مفكر يستفيد منه.

● وهذا العقل المفكر كان وزارة الرى وكان أول ما فكرت فيه.. هذه الأرض الظامئة فى صعيد مصر.. أرض الحياض التى تعانى الجفاف معظم أشهر السنة.. ثم فجأة يصلها الماء فى أيام الفيضان.. ويغرقها كطوفان سيدنا نوح.. ويبقى الفلاح بلا عمل حتى يهبط الماء.. ويمكن أن يزرع الأرض.. محصول واحد فى السنة لا أكثر.. هذه الأرض بدأ حفر القنوات فيها لاستخدام مياه السد العالى.. وريها طول السنة.. حتى يزرع الفلاح ثلاثة محاصيل بدلاً من محصول واحد.. واليوم يتمتع بالرى الدائم حوالى مليون فدان من أراضى الحياض القديمة.. وتخدم هذه الأراضى سبع محطات لرفع المياه.. وأكثر من ثلاثة آلاف منشأة هندسية، وقنوات يزيد طولها على خمسة آلاف كيلومتر، ومصارف تخدم نصف مليون فدان.

أعمال تكلفت أكثر من مائة مليون جنيه.

● وعندما بدأ الانتفاع بمياه السد العالى بدأ العقل المفكر للنيل دراسة إمكان استغلال مياه السد العالى فى أراض جديدة.. والمهمة هى شق قنوات ومصارف تكفى لأكثر من مليون فدان لم تزرع أبداً فيما مضى.

من أجل هذه الأراضى الجديدة يبدأ شق ريّاح جديد.. والريّاح فرع من النيل مثل فرع دمياط أو رشيد.. ولكنه من صنع الانسان.

● والريّاح الجديد اسمه الريّاح الناصرى.. وهو يجاور الريّاح البحيرى ويكاد يلاصقه. ويحتاج الريّاح إلى قناطر تحكم دخول الماء فيه.. وهذه القناطر تنشئها الآن شركة النيل للمقاولات.. ولتصميم الوضع الصحيح لمدخل الريّاح الجديد عُمل هذا النموذج المصغّر فى محطة التجارب والبحوث. وبعد نجاح التجارب يذهب الوزير بنفسه يراقب التنفيذ.. ففرع النيل الجديد من صنع الإنسان ولا يجب أن يظهر فيه أى عيب.. حتى الكبارى اللازمة لعبور الريّاح يجب أن تبنى

مقدما، قبل أن يصل الماء.. كذلك المصارف التى يمر فوقها الريّاح يجب أن تحفر لها أنفاق تمر من تحته وهذه الأنفاق يسميها المهندسون «سحّارات». وعندما يمر الريّاح فى مناطق رملية، فالعقل المفكر للنيل يجب أن يتنبه ويأمر بتبطين مجرى الريّاح فى هذه المناطق.. وأخيراً يتدفق الماء من الريّاح إلى ترعة النوبارية، وبشق هذه الترعة أزيل ٢٠ مليون متراً مكعبا من الأتربة. ولا ينسى المهندسون الذين حفروا هذه الترعة أن الماء وسيلة نقل أيضاً.. وأن الترعة يمكن ويجب أن تعد لملاحة السفن.. حتى يكتمل خط المواصلات المائى من الاسكندرية إلى أسوان.. ولهذا الغرض يبدأ إنشاء الأهوسة على طول الترعة.. هذا الهويس الذى يسمونه هويس الكيلو ١٠٠.. يبدو غريبا لأنه ينشأ فى الصحراء، ولكن الماء قادم إلى هذه المنطقة، ومعه ستأتى المراكب التى تحتاج إلى هذا الهويس.. وهذه ــ كما اعتاد المهندسون ــ تجربة الهويس قبل بنائه.. نموذج مصغر، ولكنه يساعدهم على دراسة كل شىء قبل الإقدام عليه.

● من ترعة النوبارية تبدأ ترعة أصغر.. إسمها ترعة النصر.. وهى ترعة يتسع قطاعها لعشرة ملايين من الأمتار المكعبة يوميا. وهى مبطنة بالخرسانة فى كامل طولها.. وترتفع الأرض المقرر ريّها من ترعة النصر تدريجيا ليبلغ ارتفاعها فى النهاية إلى أكثر من ٥٠ متراً عن المبدأ. ولهذا أنشئت على الترعة محطات رفع مختلفة.. يبلغ عددها ٦ محطات. وهذه واحدة منها: إسمها المحطة الرئيسية رقم (١). وتبلغ تكاليف هذه المحطات ٢٣ مليون جنيه.

ولكن.. فى مقابل هذه الملايين كانت هذه الخضرة السخية وهذه الحياة الجديدة التى دبت فى صحراء لم تعرف الحياة أبداً قبل الآن. قد لا يبدو المنظر هنا مختلفا.. ولكن ما نراه الآن ليس فى الدلتا، وإنما فى أقاصى الصعيد.. فى كوم امبو.. حيث الأرض التى هاجر إليها أهلنا النوبيون بعد أن غرقت بلادهم بسبب السد العالى.

● هذه المحطة من محطات الرفع تروى فى النوبة الجديدة ١١ ألف فدان واسمها طلمبات البيارة.. وهذه محطة الطويسة تروى ٣٠ ألف فدان.. وهذه هى النتيجة فى النهاية.. وطن جديد لأهلنا النوبيين يخدمه نحو ٥٠٠ كيلو متر من الترع و٢١٥ من الكبارى والقناطر والسحّارات والبدّالات.. ومحصول جديد من القصب يساهم به النوبيون فى صناعة السكر.. أهم صناعة فى الصعيد.. لكن رى الأرض هو نصف المشكلة.. والنصف الثانى هو الصرف.. أى التخلص من الماء الزائد فى تربة الأرض.. وأحدث وسائل الصرف هو شبكات المواسير التى تمتد تحت الأرض كالشرايين.. والتى يسمونها: شبكات الصرف المغطى.

ان هذه الشبكات تخدم الآن أكثر من نصف مليون فدان.. والعمل فى هذه الشبكات مستمر حتى تخدم المزيد من الأراضى الزراعية.. ويتجمع الماء من هذه الشبكات ليصب فى مصارف أخرى مكشوفة.. تصب بدورها فى البحر.. وتشرف وزارة الرى على صنع المواسير اللازمة لهذه الشبكات ويشارك فى المهمة الفلاحون أنفسهم والفلاحات أيضاً.

● ولكى لاتنسد هذه الشرايين تحت الأرض، فإن هناك ماكينات تؤدى هذا الغرض.. هنا الورش التى تصلح أولا بأول كل الأجهزة التى رأيناها.. وهذه الورش فى القناطر الخيرية ولكنها تخدم الجمهورية كلها.

● وأخيراً.. من شرايين الصرف الصغيرة تتجمع المياه فى المصارف العمومية لتأخذ طريقها إلى البحر.. وهذا المبنى الذى نراه فى نهاية هذا المصرف ليس قصرا.. وإنما هو محطة طلمبات المكس.. محطة ترفع ماء الصرف من مصرف العموم إلى مستوى البحر لتصبه فيه.. إن هذه المحطة تصرف ٧٥ متر مكعباً فى الثانية الواحدة.. ومنها ينساب الماء إلى البحر.. نفس ماء النيل ولكن بعد أن روى الأرض، وبعد أن حمل مافيها من أملاح ضارة.. ولكن هل انتهت المشكلة؟.

● نحن هنا أمام مشكلة جديدة.. بحيرة قارون.. يصب فيها ماء الصرف فى الفيوم. والبحيرة محدودة الحجم كلما امتلأت فاض الماء المالح منها.. ونفق مافيها من نبات وضعف مافيها من أشجار.

وهنا.. مرة أخرى يتدخل العقل المفكر للنيل. محطة أبحاث فى شكشوك تحسب منسوب الماء فى البحيرة وما يتبخر منه، وما يتبقى.. ونبحث عن حل.

● وهذا هو الحل:

أن يحول جزء من ماء الصرف عبر صحراء الفيوم إلى منخفض وادى الريان.. ومن الرسم إلى الطبيعة.. يبدأ تفجير القناة والأنفاق.. والمشروع ليس سهلاً.. ولكن القائمين به قادرون على انجازه لأنهم نفس الذين عملوا قبل ذلك فى السد العالى. وهو يتكلف أكثر من ٥ مليون جنيه. ولكنه سيدر فى العام الواحد ٣ مليون جنيه.. وسيحول الفيوم من حديقة عادية إلى جنة لامثيل لها فى مصر.

● بالعقل كما نرى تتحقق المعجزات.. والعقل تهديه التجربة.. ولهذا لاتنام أبداً محطة التجارب والبحوث التابعة لوزارة الرى.. ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بالأفكار الهندسية التى تخرج من هذه المحطة. قد تكون قنطرة جديدة، أو خزانا، أو مشروع صرف، أو تصميا جديداً للسواقى القديمة.. وها هو آخر تصميم قررت المحطة تعميمه. وطبيعى أن يكون هذا المعمل أكثر الأماكن التى يتردد عليها الوزير.. وهو ــ بالمناسبة ــ لم يكن يزورها هذه المرة ليرى تجربة مشروع لمصر.. ولكن ليرى مشروع رى «وارنو».. فى نيجيريا!

● من أجل العلم والبحث، أقيمت هذه الورش التى تصنع الأجهزة العلمية اللازمة لها.. ان هذه الاجهزة تقيس إلى واحد من ألف من الجرام، وواحد من مليون من السنتى.. وهى ورش تتمتع بالاكتفاء الذاتى وتخدم مشاريع الاسكان والمواصلات ولها مسابك خاصة بها.. وتصنع بنفسها حتى البوابات الضخمة اللازمة لقناطر الرى. أما هنا.. فنرى الذين يرسمون بالقلم والمسطرة النيل الذى يروينا، والأرض التى نزرعها.. ونعيش عليها.

● هنا رجال المساحة .. ورسومهم تدور عليها المطابع ليلاً ونهاراً .. وقد بدأ قانون الإصلاح الزراعى بخرائط صدرت من هنا لتحديد مواقع الأرض التى سيأخذها الفلاحون .. واليوم تمارس مصلحة المساحة علماً جديداً .. إسمه المساحة الجوية .. وهو علم يرسم الأرض من يوم إلى يوم وله قيمة كبرى فى رسم مساحاتها المنزرعة .

● على أن القيمة الأكبر فى النهاية للعقل الذى يدير كل ذلك .

للوزارة التى تفكر للنيل .. وللمهندسين الذين قد لا نفهم حديثهم ولكننا نعرف طول الوقت أنهم يخططون لهذا النهر الهادىء أحياناً ، والغاضب أحياناً .. من أجل أن يظل له فى رضاه وفى غضبة ، عقل يحكمه !

● ● ●

اللوتس .. زهرة مرتبطة بالنيل

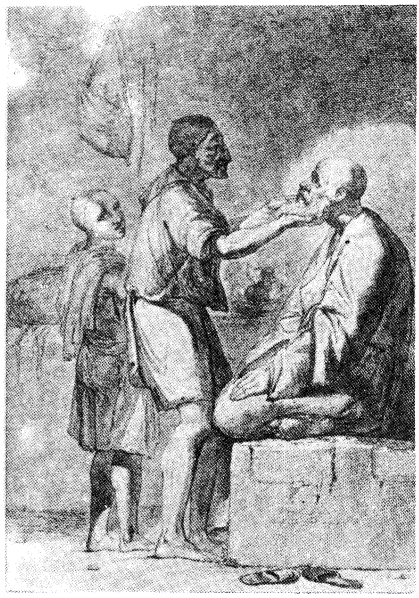

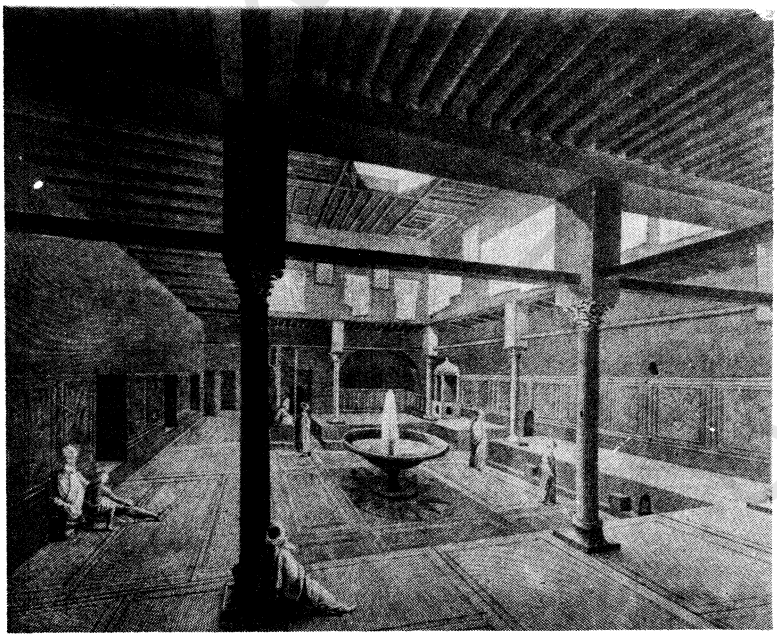

صور من كتاب وصف مصر